

قضية

«مطار الجن»: حامية كويرس تروي حكاية الحصار وال



فك الحصار بعد سقوط دام عامين 7 أشهر (أ ف ب)

استطاع الجيش السوري فك الحصار عن مطار كويرس لينسج بذلك «أسطورة» جديدة تضاف إلى صفحات الحرب السورية. فماذا حدث داخل المطار طوال أيام الحصار؟ هذا ما رواه أصحاب الحكاية

ريمانيسة

بعدما تمكنت حامية الكلية الجوية في مطار كويرس، شرقي حلب، من الصمود مدة عامين و7 أشهر أمام الحصار، تحول المطار إلى «أسطورة» تداولتها معظم وسائل الإعلام، وخصوصاً أنه حوصر من قبل عدة فصائل بدءاً من «الجيش الحر»، مروراً بـ«جبهة النصرة» وانتهاءً بتنظيم «داعش».

«كنا يداً واحدة، وهنا يكمن السر في صمود المطار أمام الاشتباكات اليومية مع المسلحين»، هكذا بدأ



سيطر الجيش السوري على قرية نصرالله في ريف حلب الشرقي، ليتابع تقدمه على جبهة مطار كويرس العسكري.

من جهة أخرى، أوقف 13 فصيلاً مسلحاً «معركة الهجوم على جدي»، بعد تكبدها خسائر فادحة حيث بلغ عدد قتلاهم 48 قتيلاً، بينهم 12 قائداً ميدانياً، وتدمير راجمتي صواريخ ومدافع هاون ومدافع ثقيلة وسيارات رباعية الدفع.

إلى ذلك، أعلن «المرصد» المعارض مقتل القيادي في «جبهة النصرة»، المدعو أبو جليبيب الأردني، اثر استهداف سيارته بعبوة ناسفة على الطريق الواصل بين بلدتي كحيل وصيدا في ريف درعا الشرقي أول من أمس.

الرقيب إيهاب غانم حديثه إلى «الأخبار» وهو يلف بعض الشاش حول يده المصابة. فرض الحصار نمط حياة قاسياً على حماة المطار في الداخل، فما كان منهم إلا الاعتراف بالواقع والتعامل معه بهدوء، ولا ضرر بقليل من الضحك. يقول غانم: «رغم الماسي التي تعرضنا لها، فإن باب النكتة لم يُقفل. كانت تحدث معنا مواقف مضحكة في ذروة الاشتباك أحياناً». جاء قرار تسريح الرقيب منذ أربعة أشهر، أي عندما كان محاصراً داخل المطار. منذ ذلك الوقت، أعفي من كل واجباته العسكرية ليبقى صامداً مع رفاقه وقرار التسريح في جيبه. التسريح جاء طبقاً لقرار رئاسي يقضي بإعفاء أي ضابط محتفظ به في حال كان لديه أخ آخر يخدم في الاحتياط.

الاشتباكات كانت شبه يومية، بحسب ما تحدث الرقيب. يتخللها عدد كبير من قذائف الهاون تتجاوز الـ400 قذيفة في اليوم الواحد، عدا عن عمليات القنص. لكن مع الوقت، عرف ضباط الكلية كيفية التعامل معها. يتابع الرقيب سرد حكاياته: «نصبنا الستائر تقديماً لعمليات القنص، أما قذائف الهاون فكاننا نسمع صوتها عندما تنطلق فنسارع إلى أخذ مكان آمن نوعاً ما، معولين على أن لا تطله القذيفة».

شكل مطار كويرس عقدة نقص لدى المسلحين ولغزاً لطالما شغلهم وبقي عصياً على السقوط، ما كلفهم عدة وعتاداً، فماذا كان يحدث خلال الاشتباكات؟

يغوص الرقيب الناجي من الموت في تفاصيل حكاية المطار الطويلة: «في إحدى الهجمات، استخدم التنظيم 17 دبابة، بالإضافة إلى 7 مفخحات وأعداد هائلة من المسلحين. اعتمد المهاجمون في خطتهم على إحداث صدمة لنا من خلال المفخحات، لكننا نجحنا في إفشال العملية». ويتابع راوياً: «ذات ليلة، تمكنا من إنقاذ طيار لنا وقع في مناطقهم بعدما تعرضت طيارته للقصف، وهذا ما جعل المسلحين يجنّ جنونهم».

كان طلاب وضباط الكلية الجوية داخل المطار يخترقون شبكات الاتصال الخاصة بالمسلحين. وسمع الرقيب إيهاب الكثير من المحادثات الجارية بين المسلحين، ليخبر عن واحدة: «سمعت أحدهم يتنادي: يا شيخ... يا شيخ المدفع عم يرمي لحالو». ويتابع ضاحكاً وكأنه رجع بالزمن إلى لحظة سماعه المكالمة: «ما سمعته كان من أطرف الأشياء التي حدثت، فالجندي الذي كان يجلس على المدفع قصير القامة، ولهذا ظن المسلح أن المدفع يرمي الصواريخ بنفسه».

المسلحون إسقاط حوامتين كانتا تؤمنان مؤازرة للمطار وتقومان بإلقاء المؤن. ومنذ تلك الحادثة، اشتد الحصار وتمكّن المسلحون من الاقتراب أكثر من أسواره، ما دفع القيادة العسكرية إلى استعمال المظلات في إلقاء المؤن والذخيرة لحامية المطار «والتي غالباً ما كان يصل منها ثلاثة أرباع الكمية». يقول الرائد: «كنا نتواصل مع الجيش عن طريق الهواتف واللاسلكي، وكانت الأخيرة تعمل داخل المطار بشكل جيد، لكن مع ذوبنا كنا ننتظر وجود الشبكة وهي غالباً ما تكون نادرة». وعن لحظات اليأس، يجيب الرائد: «كانت شبه يومية، لكن سرعان ما تتبدد عندما ندخل في الاشتباك

حامية المطار، استشهد في أرضها 48 طياراً من أصل 50، خلال الدفاع عن المطار. دفنوا هناك بحسب الرقيب إيهاب. بعد ذلك أطلق المسلحون على الكلية الجوية تسمية «مطار الجن»، إذ «أمسوا بأن الشياطين تقاتل في المطار ولهذا لم يسقط».

اسقاط كويرس كان هاجساً لدى المسلحين. الرائد هادي إحسان يروي أنه «عندما يريد التنظيم معاقبة أحد عناصره، كان يرسله إلى جبهة كويرس. وكثيراً ما كانت تتم تصفية العناصر عندما يفشل الهجوم على المطار من قبل التنظيم، مشيراً إلى أن هذه المعلومات تأكد منها خلال اختراق شبكات الاتصال الخاصة بهم».

خلال فترة الحصار، كانت المؤازرة تأتي إلى ضباط الكلية الجوية من باقي المطارات الأخرى القريبة لتضرب مواقع المسلحين المحيطة. وتكثفت المؤازرة خلال عمليات الإمداد، وكانت الأخيرة تتم ليلاً بشرط عدم ظهور القمر. يتحدث الرائد هادي: «كانت تتم عملية تغطية للحوامات كي تستطيع الهبوط لأن المسلحين كانوا يبادرونها بالنيران الكثيفة». في شهر شباط الماضي، استطاع

المسلحون إسقاط حوامتين كانتا تؤمنان مؤازرة للمطار وتقومان بإلقاء المؤن. ومنذ تلك الحادثة، اشتد الحصار وتمكّن المسلحون من الاقتراب أكثر من أسواره، ما دفع القيادة العسكرية إلى استعمال المظلات في إلقاء المؤن والذخيرة لحامية المطار «والتي غالباً ما كان يصل منها ثلاثة أرباع الكمية». يقول الرائد: «كنا نتواصل مع الجيش عن طريق الهواتف واللاسلكي، وكانت الأخيرة تعمل داخل المطار بشكل جيد، لكن مع ذوبنا كنا ننتظر وجود الشبكة وهي غالباً ما تكون نادرة». وعن لحظات اليأس، يجيب الرائد: «كانت شبه يومية، لكن سرعان ما تتبدد عندما ندخل في الاشتباك

استشهد في أرض حامية المطار 48 طياراً من أصل 50

مع داعش. مع ذلك كله، كانت الثقة عميقة بداخل كل منا أن قوات الجيش السوري قادمة إلينا... لم تمر أبداً في بالنا لحظات تخل، كان التفاؤل حاضراً».

بابا كاذب

التأقلم مع الحصار كان الأمر الأسهل بالنسبة إلى حامية المطار، لكن ما كان يقلقهم أكثر لحظات الفقد يتحدث الرائد: «لم يوجعني الحصار بقدر ما لاحقني صوت ابنتي جودي الخارج من سماعة التلفون وهي تنعتني بالكاذب. قالت لي في إحدى المكالمات: بابا أنت كذاب كل يوم بتقلّي بكرا بدك تجي. أي إجا مليون بكرا وأنت ما أجي».

خضروات للتسلية

كان الطعام متوافراً بكميات محدودة، لكن ذلك لم يكن يشكل مشكلة كبيرة بالنسبة إلى حامية المطار. يقول الرائد: «هنا كان أن نسد رمقنا بأي شيء لكي نستطيع الوقوف على أرجلنا، واستطعنا أن نزرع القليل من الخضروات بغرض التسلية. ولاحقاً، في أيام العوز والقلّة، استفدنا منها». وحول الطبابعة، فالنقطة الطبية

تلك أبيب: منظومات بوتين تغير قواعد اللعبة في المنطقة

يحيى دبوقة

إلى أن تجد إسرائيل «حلاً» للمنظومة الروسية الاعتراضية الأكثر تطوراً، «اس 400»، المنشورة حديثاً في شمال سوريا، فإنهم في الجيش الإسرائيلي باتوا يدركون أن الواقع الميداني والعملياتي قد تغير، وأن تفوق سلاح الجو الإسرائيلي وجرية عمله في المنطقة قد تضرر، وهو الآن مرهون بإرادة موسكو ونياتها. هذا ما خلص إليه موقع «واللا»

العبري أمس، نقلاً عن مصادر عسكرية وأمنية إسرائيلية، رأت أن منظومة «اس 400» التي تعدّ «منظومة الرعب» من جهة الغرب، تعني فقط تعقيداً جديداً في «الساحة الخلفية لإسرائيل»، وخاصة أنها (إسرائيل) كانت تتمتع منذ سبعينيات القرن الماضي بتفوق جوي شبه كامل في مواجهة العالم العربي... أما الآن «فنعمل على فهم الأمور وكيفية التعامل مع الواقع الجديد، مع

القدرة الإسرائيلية على التحرك في هذه الساحة وفي غيرها، وهناك أسئلة باتت مطروحة: متى يمكن العمل ومتى يجب العمل، وكيف يمكن العمل؟».

وبشير التقرير إلى أن «التفوق الجوي لإسرائيل مرتبط إلى حد كبير بقدرة الآخرين على كشف تحركات وأنشطة الطائرات الحربية الإسرائيلية، أي القدرة على الوصول إلى الهدف ومهاجمته، وفي الوقت نفسه ضمان العودة إلى إسرائيل. هذا الاعتبار بات

مفقوداً الآن، لأن الطائرات الإسرائيلية مكشوفة حالياً منذ لحظة إقلاعها إلى لحظة الوصول إلى الهدف، ومن ثم العودة أدرجها». وأضاف إنه «العدم الانكشاف المسبق أهمية كبيرة، ومع وجود الاس 400 تغيرت قواعد اللعبة، فوجود هذه المنظومة في الساحة الخلفية لإسرائيل يخرق التوازن الذي كان قائماً، ويضّر قدرة سلاح الجو الذي بات مكشوفاً بشكل كبير جداً». وبحسب التقرير، فإن «هذه المنظومة تمثل تهديداً تجاه